



القيامة الصغرى



السيرة النبوية من عهد النبوة إلى الزواجر

القيامة الصغرى

القيامة الصغرى

السيرة
الإمامية بن عبد الله الزرعي

مكتبة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع و محفوظة

للمزيد من الكتب



بسم الله الرحمن الرحيم



@BaynoonanetUAE



@Baynoonanet



www.baynoona.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ خَاتَمِ
النَّبِيِّينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ وَبَعْدُ:

خاتمة الدنيا الموت:

الحياة الإنسانية تتحقق بنفخ الروح في جسد الجنين
في رحم أمه، ثم بعد أشهر يخرج إلى هذه الدنيا ويُغسَلُ
وَيُطَيَّبُ وينشأ صبياً ثم غلاماً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيباً ثم
يعودُ صغيراً قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ وَمَنْ نَعَمَّرَهُ نَكَسْنَاهُ فِي الْخَلْقِ
أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٨]، ثم يأتي الموتُ في الموعد المحتوم،
ثم قبرٌ ثم حشرٌ ثم جنة أو نار.

الموت حقيقة قاسية تواجه كلَّ حي، تتكرر في كل يومٍ

ولحظة، يواجهها الكبار والصغار، والرجال والنساء،
الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، والفجّار والأتقياء
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فلا فرق بين نفسٍ ونفسٍ في تذوق
الموت، وإنما الفارقُ في المصير بعد الموت ﴿فَمَنْ زُحِرَ
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الموتُ هو مفارقة الروح للجسد، وتعطلُّ الجوارح عن
العمل، ومفارقة الأهل والجيران والمجتمع، وهو الانتقال
من الفلل والقصور إلى القبور، هو الانتقالُ من ظاهر
الأرض إلى باطنها، ولو نجا أحدٌ من الموت لنجا منه خيرُ
خلق الله محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ
وَأِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

كم من ملكٍ أخذهُ الموتُ من على كرسية فقال: يا
ليت مسئوليتي عن نفسي وعن أهلي ولم أكن مسؤولاً
عن الناس، وكم من شابٍ غرَّه شبابه واشتغل بهواه قال:

يا أسفَى على شبابي، يا ليتني راقبتُ ربي وانتصرتُ على نفسي، وكم من غنيٍّ قال: يا ليت مالي كان كفافاً واكتسابه كان حلالاً. وهكذا عند الموت تظهر الحسراتُ والزفراءُ من أهل السيئات، وتبدو الابتساماتُ على وجوه أهل الطاعات.



فهل من مهرب من الموت؟

قال الله عزَّوجلَّ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، فالموت يأتي في وقتٍ محدد ومكتوب، وفي أرضٍ معلومةٍ لا يعلمها إلا الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنْبَأً مُّوَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وفي الحديث: «إذا أراد الله قبض روح عبدٍ بأرضٍ جعل له فيها حاجةً»^(١).

والواجب على المسلم: أن يستعد للموت في كل لحظةٍ فإنه لا يدري متى يكون أجله، ولذلك أمر رسول الله

(١) أحمد والترمذي، الصحيحة (١٢٢١)، صحيح الجامع (٣١١).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ فَقَالَ: « أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ: الْمَوْتِ » (٢). وذكر الموت هو التفكير فيه وفي أهواله وسكراته وشدائده، وما سيؤول إليه الأمر من نعيمٍ أو عذاب.

قال الدقاق رَحِمَهُ اللَّهُ: « من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضى بالكفاف والتكاسل في العبادة » فلا بد من الحديث عن الموت والاحتضار والروح والبرزخ والقبر وفتنته وعذابه ونعيمه، ولذلك كان الموضوع.



نُذْرُ الْمَوْتِ

جعل الله للموت نُذْرًا يُنذرون به ورُسُلًا ينبهون عليه، فمن الناس من تنبه له قبل نزوله واستعد له قبل حلوله فهو دائم الذكر له، ومن الناس من غفل عنه وأهمل ذكره حتى إذا نزل به الموت قال: يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله.

والعاقل الفطن هو الذي تراه دائماً يقظاً، ومن اليقظة أن يتذكر نُذْرَ الموت ومنها:

مرور الأيام والأعوام: فكل يوم يمر من حياتك يُقربك إلى الآخرة ويُبعدك عن الدنيا.

المرض: وبه تعتل الصحة وبه تضعف القوة وبه يثقل

البدن حتى يعجز الإنسان عن القيام ويفقد لذة الطعام والشراب، وخاتمة المرض إما عودة الصحة إليه إلى أجلٍ مسمى وإما الموت والهلاك.

الشيخوخة والكبر: وهذا النذير هو الضعف الذي لا يعقبه قوة، والشيخوخة تعني ضعف البدن بعد قوته، وبياض الشعر بعد سواده، وانحناء الجسم بعد استقامته.

وَتُعَامِي جَهْلًا وَأَنْتَ اللَّيْبُ	كَمْ تُصَابِي وَقَدْ عَلَاكَ الْمَشِيبُ
وَشِبَاكَ الْحَمَامِ مِنْكَ قَرِيبُ	كَيْفَ تَلْهَوُ وَقَدْ أَتَاكَ نَذِيرُ
بَعْدَ ذَلِكَ الرَّحِيلِ يَوْمٌ عَصِيبُ	يَا مَقِيمًا قَدْ حَانَ مِنْهُ رَحِيلُ
لَا يَدَاوِيكَ إِذَا أَتَاكَ طَبِيبُ	إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَةً فَارْتَقِبْهَا

تشيع الموتى من تغسيل وتكفين وحمل ودفن

واليقين أن كل إنسان سيكون كذاك الميت يوماً من الأيام، فإنك ترى الميت لا يستطيع غسل نفسه بل يُغسله غيره ويلبس ثيابه ويخلعها غيره، ويخرج من البيت إلى القبر ويفارق الأولاد وهم يبكون عليه ولا ينتظرون رجوعه إليهم يوماً من الأيام، ويوارى في حفرة من الأرض مظلمة وحيداً ليس معه أحد. ومن لم يعتبر بمثل هذا المشهد فمتى يعتبر؟ ومن لم يستعد له فمتى يستعد؟

رؤية القبور في كل مكان وفي كل بلد ومدينة وقرية، وهي المساكن بعد الموت.

لذلك كله كان من الواجب علينا أن نكثر من ذكر الموت وسكراته وأهوال ما بعده فإن ذلك من أعظم الزواجر

وأقوى الأسباب للإقبال على الله تعالى، وستتكلم بإيجاز عن ساعة الاحتضار وعن مسائل تتعلق بالروح، وعن هول القبر وضمته وفتنته وعذاب القبر ونعيمه، وعن أسباب عذاب القبر وما يُنجي من عذابه، وعن البرزخ وأهواله.

ساعة الاحتضار وقبض الروح

إذا حان أجل الإنسان، أرسل الله رسل الموت لسلّ روحه المُحرّكة للجسد ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

في ساعة الاحتضار يعاني الإنسان من سكرات الموت وهي التي عانى منها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين قال: « لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إن للموت سكرات » [رواه البخاري].

في ساعة الاحتضار يتمنى الإنسان الرجعة للتوبة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، فإن كان

كافراً لعله يُسلم وإن كان عاصياً فلعله يتوب وإن كان
تائباً فلعله يزيد عملاً صالحاً.

عندما يأتي ملك الموت يُبشر المؤمن بالمغفرة
والرضوان، ويبشر الكافر بالسخط والغضب من الله.
نفسُ العبد المؤمن تخرج سهلة كأطيب نفحةٍ مسك
وجدت، وهو بحمد الله، كما ورد في الحديث الصحيح:
« إن المؤمن تخرجُ نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله »^(٣).

أما نفس الكافر فتخرج كأنتنٍ ريحٍ وجدت، فإذا خرجت
الروح من الجسد دخل الإنسان في عالم البرزخ، فيرى
أشياء لم يرها من قبل، ويسمع أشياء لم يسمعها من قبل،
وأول ما يرى روحه التي تخرج منه، ففي الحديث: « إن
الروح إذا قبض عليها تبعه البصر »^(٤)، ويرى الجنة وما فيها
ويرى النار وما فيها، ولا يرى شيئاً من الدنيا ولا يسمع

(٣) صحيح الجامع (١٩٢٧).

(٤) مسلم وغيره.

شيئاً لأنه في عالم آخر.

والروح التي تُنفخ في الجنين وهو في بطن أمه هي نفسها التي تحرك جسده في الدنيا، فإذا خرجت همد الجسد وسكن ثم تُحمل في كفنٍ من الجنة أو كفنٍ من النار، ثم تُعاد إلى الجسد في القبر وتُسأل وتُعذَّب مع الجسد أو تُنعم معه. ثم تخرج مرة أخرى، فإذا كان مؤمناً تتنعم في الجنة وإذا كان كافراً تُعذَّب في سجينٍ في النار، فأما أرواح الأنبياء فتكون في خير منازل، في أعلى عليين في الرفيق الأعلى.

وأما أرواح الشهداء؛ ف«في أجواف طير خضرٍ لها قناديلٌ معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل»^(٥). وأما أرواح الصالحين فتكون طيوراً تأكل من شجر الجنة كما في الحديث الصحيح: «إنما نسمة المسلم طيرٌ يعلقُ في شجر الجنة

(٥) رواه مسلم.

حتى يُرجعها الله إلى جسده يوم القيامة»^(٦)، وأما أرواح العصاة من المؤمنين، المستحقة لعذاب القبر فهي في عذاب فالزاني يُعذب والكاذب يعذب وهكذا.

هول القبر وفضاعته وضمته وفتنته

كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي؟ فقال إني سمعت رسول الله يقول: «القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشدُّ منه»، قال: وسمعت رسول الله يقول: «ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أقطع منه»^(٧)؛ ولذلك فإن المؤمن عندما يرى نعيم القبر وينظر إلى منزله في الجنة يقول: «ربِّ عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي»،

(٦) أحمد - السلسلة الصحيحة للألباني (٢ / ٧٣٠).

(٧) الترمذي وابن ماجه - صحيح الجامع (٢ / ٨٥).

وأما الكافر الفاجر إذا رأى ما أعد الله له من العذاب فإنه يقول: « ربِّ لا تُقم الساعة » لأن الآتي أشد وأفظع.

وللقبر ضمّةٌ لا ينجو منها أحد، ففي الحديث: « لو نجا أحدٌ من ضمّة القبر لنجى سعدٌ بن معاذ، ولقد ضُم ضمّةٌ ثم روخي عنه »^(٨)، وفي حديث آخر: « لو نجا أحدٌ من ضمّة القبر لنجى هذا الصبي »^(٩).

أما فتنة القبر؛ فهي سؤال الملكين بعد الفراغ من الدفن مباشرة: فقد كان رسول الله إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال

(٨) صحيح الجامع (٥٣٠٦) ورواه الطبراني.

(٩) رواه الطبراني وأبو يعلى - صحيح الجامع (٥٣٠٧).

: « استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل
 «^(١٠). وقال أيضاً: « إذا قُبِر الميت أتاه ملكان أسودان
 أزرقان، يُقال لأحدهما: المنكر وللآخر: النكير »^(١١).

« يُجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع من السؤال بعكس
 الرجل السوء »^(١٢)، « ثم بعد السؤال يُفتح للمؤمن بابٌ إلى
 الجنة من قبره أما الكافر فيُفتح له بابٌ إلى النار »^(١٣).
 « يُفسح للمؤمن في قبره مدَّ البصر ويُضيق قبر الكافر حتى
 تختلف أضلاعه »^(١٤)، في الحديث: « ويُفسح له في قبره
 سبعون ذراعاً ويُملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون »^(١٥).

عذاب القبر ونعيمه: المؤمن والتقوي يُنعم في قبره إلى
 يوم القيامة، والكافر والعاصي الذي لم يُغفر له، يُعذب

(١٠) أبو داود، صحيح الجامع.

(١١) الترمذي، صحيح الجامع.

(١٢) أحمد، صحيح الترغيب.

(١٣) أحمد، صحيح الترغيب.

(١٤) أحمد، صحيح الترغيب.

(١٥) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في قبره وهو عذابٌ للروح والجسد، قال ابن تيمية: «العذابُ والنعيمُ على النفس والبدن معاً باتفاق أهل السنة والجماعة»، وفي الحديث: «إنَّ الموتى يُعذبون في قبورهم» (١٦).

وسنذكر بعض أسباب عذاب القبر ومنها:

- النيمة.
- عدم الاستبراء من البول وعدم الاستتار من البول
لحديث ابن عباس في الصحيحين في اللذين يعذبان في
قبرهما.
- النياحة على الميت بإذنه: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: « الميتُ
يُعذب في قبره بما نوح عليه » (١٧)، أما إذا أوصى في حياته
بعدم النوح عليه فلا يُعذب بذلك - أحكام الجنائز للألباني.
- الذي يأخذ القرآن ويرفضه.
- النائم عن الصلاة المكتوبة متعمداً حتى يفوت وقتها.
- الكذب.
- الزنى.

● أكل الربا.

❖ وهذه الخمسة الأخيرة دليلها حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح البخاري عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كان رسول الله مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحدٌ منكم من رؤيا؟» فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وأنه قال لنا ذات غداةٍ: «أنه أتاني الليلة آتيان وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتندهه الحجرها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعودُ عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى، قال قلت لهما: سُبْحَانَ اللَّهِ! ما هذان؟»، وفي آخر الحديث: ذكر له «أن الرجل المضطجع هو الذي يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة» قال: «فانطلقنا فأتينا على رجل مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكَلْبٍ من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدة إلى قفاه ومنخره وعينه إلى قفاه،

ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل مثل ما فعل بالجانب الأول...»، وفي آخر الحديث: ذكر له أن «الرجل الأول يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغُ الآفاق»، قال: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، فإذا فيه لغط وأصوات فاطلنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضُوا»، وفي آخر الحديث ذكر له أن «هؤلاء الزناة والزواني»، قال: «فانطلقنا فأتينا على نهرٍ أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابحٌ يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرةً، وإذا ذلك السابح يسبحُ ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً، فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً»، وفي آخر الحديث ذكر له «أنه أكل الرِّبَا» إلخ الحديث. وذكره النووي في رياض الصالحين، باب تحريم الكذب.

ومن أسباب عذاب القبر:

الغُلُول وهو السرقة من الغنيمة في الجهاد:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أهدى رجلٌ لرسول الله غلاماً يقال له مدعم، فبينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله إذا أصابه سهمٌ غائر فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله: «كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً»، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراكٍ أو شراكين إلى النبي، فقال: «شراكٌ من نارٍ أو شراكين من نارٍ»^(١٨). وكذلك في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له: كركره، فمات، فقال صلى الله عليه وسلم: «هو في النار» فذهبوا يسألون أهله فوجدوا عباءةً قد غلها.

(١٨) متفق عليه.

حياة الأنبياء في البرزخ:

* وكل الله تعالى ملكاً عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإخباره باسم من صلى عليه، قال رسول الله: «أكثرُوا من الصلاة عليّ؛ فإن الله وكل بي ملكاً عند قبري فإذا صلى علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلاناً بن فلان صلى عليك الساعة» (١٩).

* الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء: قال رسول الله: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» (٢٠).

* الأنبياء في القبور أحياء يُصلون: قال رسول الله: «مررت ليلة أُسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره» مسلم وغيره، وقال أيضاً: «الأنبياء أحياء في

(١٩) حسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢٠) الأربعة إلا أبو داود- صحيح الجامع (٢٢٠٨).

قبورهم يُصلون» (٢١).

✽ التقاء الأنبياء برسول الله في البرزخ وتسليمه عليهم:

كما جاء في الصحيحين عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلا يقاس غيرهم من الناس عليهم.

وأخيراً:

لا بد أن نكثر من ذكر هادم اللذات، ونتفكر في الخاتمة والاحتضار وساعة قبض الروح، ولا ننسى هول القبر وفضاعته وضمته وفتنته، ولا ننسى أن في القبر نعيماً لمن أطاع الله تعالى، وفيه عذاباً لمن عصي الله تعالى، وأن هناك أسباباً لعذاب القبر يجب أن نتجنبها.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

